تقديم:

جنوب كُردستان وبغداد التجربة الكُردية في مئوية دولة العراق

١٩٢١ -٢٠٢١

قصة الكُرد في دولة العراق: حرب المئة عام

أ. د. هوكَر طاهر توفيق

رئيس المؤتمر

- **بريطانيا وكُردستان في معادلة الشرق الأوسط:**

كانت معادلة الشرق الأوسط وترسيم الخطوط الافتراضية "الحدود السياسية المصطنعة" التي قسمت الشعوب والجغرافية في هذه المنطقة معقدة للغاية، وقد شاركت أربع دول في هذه المعادلة وهي: "بريطانيا وروسيا وفرنسا" بالدرجة الأساس تأتي من بعدهم "المانيا" التي طُردت من هذه المعادلة بخسارتها الحرب العالمية الأولى.

وقد أخذت هذه المعادلة تقريباً (١٢٥) عاماً حتى تبينت خطوطها النهائية، إذ بادرت رسيا أولاً في رسم الخط الأول لتلك المعادلة وذلك في محاولة منها لاحتلال أجزاء من أراضي الدولة العثمانية والإيرانية في الشرق الأوسط حتى وصلت إلى مشارف حدود بلاد الكُرد "كُردستان" في بداية القرن التاسع عشر. ثم دخلت بريطانيا في هذا المضمار في محاولة منها لمواكبة النفوذ والسيطرة الروسية في الشرق الأوسط و"إبقاء الوضع على ما هو عليه" وجعل الدولة العثمانية بمثابة سد منيع أمام التوسع الروسي، ثم تلتهما فرنسا وألمانيا على التوالي في الربع الأخير من القرن التاسع عشر.

Zakho Centre
for Kurdish Studies
سەنتەری زاخۆ بۆ لێکۆڵینەوە کوردی

أفرز هذا الصراع الشرس في الشرق الأوسط معاهدات واتفاقيات عدة بين تلك الدول لعل أبرزها تلك التي سميت بأسماء واضعيها ونعني بها اتفاقية "سايكس -بيكو -سازانوف" أيار ١٩١٦، فبعد أن تم إبعاد المانيا من هذه الغنيمة، قسمت أراضي الدولة العثمانية في الشرق الأوسط بين هذه القوى الثلاثة. ولكن حدثت بعد توقيع الاتفاقية تطورات عدة تمثلت في انسحاب روسيا منها، وسيطرة مصطفى كمال باشا على شمال كُردستان، واتفاق بريطانيا وفرنسا على دخول جنوب كُردستان "ولاية الموصل" ضمن النفوذ البريطاني عكس ما جاء في اتفاقية سايكس -بيكو -سازانوف لتتحكم بريطانيا في مستقبل هذه المنطقة بعد ذلك، أي: كُردستان العراق اليوم.

- **موعد مع التاريخ "كُردستان والتقسيم الثاني":**

يتشاءم الكُرد كثيراً من معركة جالديران التي وقعت بين الدولتين العثمانية والصفوية في عام ١٥١٤، باعتبار أن هذه المعركة هي التي وضعت حجر الأساس في تقسيم بلاد الكُرد "كُردستان" إلى قسمين وكان هذا التقسيم الأول، وفرض هذا التقسيم على بلاد الكُرد كأمر واقع حتى الحرب العالمية الأولى، وظن الكُرد بعد الحرب العالمية الأولى انهم سيؤسسون دولة "كُردستان" المستقلة بشقيها العثماني والإيراني كما بينها شريف باشا في خارطته "كُردستان الكبرى" التي قدمها إلى مؤتمر الصلح في باريس عام ١٩١٩، ولكن ذهبت أماني الكُرد أدراج الرياح فبدلاً من توحيد قسمي كُردستان "العثماني والإيراني" قُسمت كُردستان العثمانية إلى ثلاثة أقسام، القسم الأكبر صار من حصة الجمهورية التركية الحديثة التي أسسها مصطفى كمال باشا عام ١٩٢٣، وضم قسم صغير من كُردستان إلى الدولة السورية الحديثة التي أسستها فرنسا، أما جنوب كُردستان أو ما كانت تعرف آنذاك بـ"ولاية الموصل" فقد ألحقت بالدولة العراقية وذلك بعد جهود كبيرة وصراع شرس ضد تركيا الكمالية من قبل المس بيل وبيرسي كوكس وساسة بريطانيين أخريين، وأُلحقت جنوب كُردستان رسمياً بدولة العراق الحديثة بقرار من عصبة الأمم في ١٦ كانون الأول ١٩٢٥.

- **الحكم المركزي في بغداد وإنكار الحقوق الكُردية:**

تحكمت بغداد بعد هذا التاريخ في جنوب كُردستان بمساعدة قوية من بريطانيا وكأن جنوب كُردستان كانت جزءً من التكوين العضوي لدولة العراق في جميع مراحل التاريخ، علماً أن بغداد لم تحكم هذه المنطقة طيلة التاريخ الحديث. في سنوات العشرينات والثلاثينات من القرن المنصرم تم تثبيت الحكم العربي على كُردستان دون مراعاة للفوارق الأثنية والدينية والجغرافية بين الكُرد وبلادهم كُردستان وبين العرب في وسط وجنوب العراق، لذلك حاربت بغداد بكل

Zakho Centre
for Kurdish Studies
سەنتەرێ زاخۆ بۆ لێکۆلینێن کوردی

إمكانياتها العسكرية جهود الكُرد في الاستقلال عن دولة العراق أو حتى تشكيل كيان شبه مستقل ضمن هذه الدولة الحديثة التكوين. وقد فطن البريطانيون أولاً ثم الملك فيصل بان العمود الفقري لبناء دولة العراق الحديثة هو الجيش فقط وهي القوة الحامية لحدود هذه الدولة، لذلك أخذت بعصى الجيش في الوقوف ضد أي مطلب قومي كُردي.

- **الرد الكُردي:**

قبلت قلة قليلة من الكُرد الهوية العراقية كهوية جديدة لهم، وجُلهم كانوا من المثقفين والأغوات الكُرد الذين مثلوا المحافظات الكُردية في المجلس التأسيسي العراقي أو في الحكومات العراقية المتعاقبة، ولكن غالبية الكُرد رفضوا هذا الدمج القسري لجنوب كُردستان بالعراق ولم يقبلوا بالهوية العراقية الجديدة التي فرضت عليهم؛ إذ وقعت حركات وثورات كُردية ضد حكومة بغداد والبريطانيين، فالشيخ محمود الحفيد حارب هذه الإدارة لمدة تزيد عن اثنا عشرة عاماً (١٩١٨ -١٩٣١)، والشيخ أحمد البارزاني رفع راية العصيان بوجه بغداد ولم يأتمر بأوامرها خلال عامي (١٩٣١ -١٩٣٢)، ويبدو أن ملا مصطفى البارزاني كان أكثر وضوحاً وحزماً في المطالبة بالحقوق القومية الكُردية عندما أكد في مطالبه التسعة عام ١٩٤٤ لبغداد بضرورة تشكيل إقليم كُردي تتكون من المحافظات الأربع الآن (أربيل، السليمانية، كركوك، دهوك) وبعض الأقضية والنواحي الأخرى من محافظتي ديالى والموصل. ولولا الطيران البريطاني في مساندة الجيش العراقي الذي حارب هذه الحركات الكُردية، لحقق الكُرد مكاسب قوية في بداية العقود الأولى من تأسيس دولة العراق.

ثورة أيلول ١٩٦١ -١٩٧٥:

يقول مسعود البارزاني عن ثورة أيلول :"هي بحق أم الثورات لأنها رسمت للشعب الكُردي مساراً تاريخياً جديداً بنقلها نضاله إلى مرحلة لا عهد للتاريخ الكُردي بمثلها". هكذا لخص مسعود البارزاني تأثير ثورة أيلول في مجمل الحركة الكُردية ليس في العراق فحسب وإنما في باقي أجزاء كُردستان. هذه الثورة التي قادها الزعيم الكُردي ملا مصطفى البارزاني (١٩٠٣ -١٩٧٩) ضد حكومات بغداد لمدة تزيد عن الأربعة عشر عاماً هي خير دليل على أن الكُرد لم يقبلوا بالهوية العراقية وبالدمج القسري لجنوب كُردستان بالعراق، وقد غيرت هذه الثورة المعادلة السياسية برمتها في كُردستان والعراق كذلك، فمن جهة بعثت هذه الثورة الروح القومية في الكُرد مرة أخرى بعد ما ظن الكثيرون أنها زالت وانتهت بعد الحرب العالمية الثانية اثر سقوط جمهورية مهاباد في كُردستان ايران عام ١٩٤٦، ومن جهة ثانية اشتد الصراع بين بغداد والكُرد إلى الحد الذي تدخلت فيها الدول الإقليمية والدول الكُبرى في هذا الصراع بين الكُرد وبغداد. في هذه الثورة

Zakho Centre
for Kurdish Studies
سەنتەری زاخۆ بۆ لێکۆڵینەوێ کوردی

الكُردية حدثت عشرات بل مئات المعارك بين البيشمركة والجيش العراقي، تخللتها هدن ومفاوضات عديدة، إلا أن أبرز ما ميز هذه الثورة فضلاً عن الانتصارات العسكرية هي بيان ١١ أذار ١٩٧٠ ذي الخمسة عشر بنداً التي اعترفت بموجبه حكومة بغداد ولأول مرة بالحكم الذاتي للكُرد على أرضهم كُردستان، وتخطى تأثير هذا البيان حدود العراق وكُردستان لتؤثر على ايران وتركيا بل على التحالفات الدولية في المنطقة ككل. المهم في ثورة أيلول حتى بعد انهيارها في أذار ١٩٧٥ أنها تركت أثراً عميقاً في العراق ولدى الدول التي تحتل جزءً من كُردستان بان المسألة الكُردية هي مسألة عميقة ولها جذور لا يمكن خلعها بسهولة لذا توجب النظر إلى هذه المسألة بنظرة أخرى وان حلها ليس سهلاً وسيجري بالقوة العسكرية فقط كما يقولون.

- **العنف في أعلى درجاته "حلبجة وعمليات الأنفال" ١٩٨٨:**

ظنت بغداد بان القضية الكُردية في العراق حلت وانتهت وذلك بعد منح الكُرد حكماً ذاتياً صورياً وان هذه القضية القومية الكُردية باتت إلى زوال من غير رجعة، ولكن على أرض الواقع قاد الكُرد بعد انهيار ثورة أيلول مباشرة في عام ١٩٧٦ قتالاً طويلاً شرساً ضد حكومة بغداد ولم تنتهي هذه الحرب إلا في عام ١٩٨٨، ففي هذا العام وبعد أن وصلت الحرب العراقية -الإيرانية إلى فصلها الأخير شنت بغداد اشرس حرب ضد الحركة القومية الكُردية، تلك الحرب التي اطلق عليها البعث "عمليات الأنفال" وكانت قمة تلك الحرب هي ضرب حلبجة والعديد من المناطق الأخرى في كُردستان بالأسلحة الكيميائية، وقد قتل في هذه العملية حوالي (١٨٢٠٠٠) كُردي مع تدمير حوالي (٤٥٠٠) قرية كُردية، أي إن بغداد اتبعت سياسة الأرض المحروقة ضد كُردستان وذلك لتقلع جذور الحركة القومية الكُردية التي كانت من أبرز أسباب ضعف الدولة العراقية طيلة القرن العشرين.

- **استقلال كُردستان ١٩٩١ -٢٠٠٣:**

منحت حرب الخليج الثانية ١٩٩٠ -١٩٩١ اثر دخول الجيش العراقي إلى دولة الكويت واحتلالها عسكرياً فرصة ذهبية لاستقلال كُردستان العراق، فأثر الانتكاسات التي لحقت بحكومة بغداد والجيش العراقي قامت في جنوب العراق وشماله "كُردستان" انتفاضة واسعة في ربيع ١٩٩١ طردت على اثرها حكومة بغداد من كُردستان، ولكن بعد أحداث وتطورات سياسية وعسكرية سريعة تمكنت بغداد من العودة سريعاً لاحتلال كُردستان مما أدى إلى فرار ما يقرب المليونين كُردي إلى إيران وتركيا، وهذا ما دفع مجلس الأمن الدولي في ٥ نيسان ١٩٩١ إلى اصدر القرار رقم (٦٨٨) المتعلق بتوفير ملاذ آمن في كُردستان العراق، وعلى أثرها انسحبت بغداد من محافظات (أربيل، السليمانية، دهوك) وأقام الكُرد فيها بحلول عام ١٩٩٢ برلماناً وحكومة منتخبتين، وبات الكُرد في هذه المحافظات يديرون أنفسهم بأنفسهم مكونين شبه دولة مستقلة حتى عام ٢٠٠٣.

Zakho Centre
for Kurdish Studies
سەنتەرێ زاخۆ بۆ ڤەکۆلینێن کوردی

- **العودة إلى بغداد ٢٠٠٣ -٢٠١٧:**

من الأخطاء الاستراتيجية للقيادة الكُردية في عام ٢٠٠٣ هي عودتها إلى بغداد، وذلك لان إقليم كُردستان كان بمثابة شبه دولة محمية بقرار دولي وليست لبغداد أي سلطة عليها، تنازل إقليم كُردستان عن بعض تلك الحقوق الاستراتيجية بعد عودته إلى بغداد آملاً في بناء عراق ديموقراطي تعددي فيدرالي، وشارك الكُرد في صياغة دستور عام ٢٠٠٥، ولكن اتضح بعد ذلك أن العقلية الحاكمة في بغداد لم تتغير كما يشير مسعود البارزاني في كتاب "للتاريخ" إلى هذا الأمر في مواضع عدة.

ربما أن عودة الكُرد إلى بغداد كان خطأً استراتيجياً ولكن يبدو أن الكُرد قد أقدموا على هذا الأمر لسببين:

١. الضغط الكبير الذي مارسته الولايات المتحدة الأمريكية في ضرورة عودة الكُرد إلى بغداد والمشاركة في بناء العراق الجديد.
٢. امل الكُرد في ضم المناطق الكُردية والمستقطعة إلى إقليم كُردستان من جديد مثل "كركوك وخانقين وسنجار..." والتي كانت تحت حكم بغداد المباشر حتى عام ٢٠٠٣.

لم تكن عملية عودة الكُرد إلى بغداد ناجحة، فقد نشبت مشاكل عديدة بين الطرفين وصل في بعض المرات إلى التهديد بالسلاح والحرب، "مشاكل حدود الإقليم والمادة (١٤٠) من الدستور العراقي، مشاكل النفط والغاز، مشاكل التسليح والبيشمركة...الخ". حتى آل الأمر إلى استقطاع بغداد لحصة إقليم كُردستان من الموازنة الاتحادية في شباط ٢٠١٤، وظهور داعش وسيطرته على مناطق واسعة في وسط العراق وتهديده الجدي لإقليم كُردستان، كل هذه الأمور أدت بالكُرد إلى التفكير جدياً مرة أخرى بعلاقتهم ببغداد.

- **الاستفتاء الكُردستاني ٢٠١٧:**

كانت استفتاء كُردستان في ٢٥ أيلول ٢٠١٧ هي رسالة رفض الكُرد لدولة العراق بعد ٢٠٠٣، كما رفضه الكُرد بعد ١٩٩١ وحين تأسيس دولة العراق في عام ١٩٢١، وكان هذا الاستفتاء رسالة واضحة وصريحة إلى ساسة بغداد بان الكُرد لا يريدون بعد الآن العيش في دولة العراق، فالمشاكل مع بغداد لا تنتهي، ولا يوجد هناك ثقة بين الطرفين، وان افضل حل لمشاكل العراق والكُرد هو الانفصال وتأسيس الكُرد لدولتهم كُردستان، هذا الأمل الذي طالما يحلم به الكُرد، كما إن النهج الانفصالي للكُرد في العراق ليس خفياً عن ساسة بغداد منذ تأسيس دولة العراق.

Zakho Centre
for Kurdish Studies
سەنتەری زاخۆ بۆ لێکۆڵینەوە کوردی

• **العامل الخارجي في فشل الاستفتاء "بريطانيا -ايران -تركيا":**

إن دارس تاريخ العراق في القرن العشرين وفي هذه الألفية يعلم جيداً، بان عملية ربط جنوب كُردستان بدولة العراق الحديثة لم تكن تعتمد يوماً من الأيام بالحكومة المركزية في بغداد وذلك لضعفها ولهشاشتها، ففي العهد الملكي (١٩٢١ -١٩٥٨) تكفلت بريطانيا بمهمة محاربة النزعة القومية والانفصالية عند الكُرد بمساندتها المباشرة للجيش العراق من خلال قوتها الجوية ضد الحركات الكُردية التي اندلعت ضد حكم بغداد، بعد ذلك كانت لإيران وتركيا دوراً كبيراً في محاربة الحركة القومية الكُردية في العراق وذلك بعقد عدة معاهدات وبروتوكولات بين الدول الثلاث كان الهدف منها هي ضرب الحركة القومية الكُردية في الدول الثلاث، وبما أن الحركة القومية الكُردية في العراق كانت أشد بأساً وقوة كانت هي الضحية الأولى لتلك العلاقات بين الدول. ولا يخفى على أحد الآن بان محاربة ايران وتركيا للحركة القومية الكُردية في العراق هي خوفها من تأثير مكتسبات هذه الحركة على كُردها، وبالتالي قيام حركات قومية كُردية ذو نزعة انفصالية في ايران وتركيا تزعزع الحدود الإقليمية برمتها في الشرق الأوسط. في عملية استفتاء كُردستان في ٢٥ أيلول ٢٠١٧ وهجوم بغداد على كُردستان في ١٦ تشرين الأول ٢٠١٧ ظهر للعيان الدور الكبير الذي مارسته طهران وأنقرة في دعم بغداد ضد نتائج استفتاء كُردستان، ولا نبتعد عن الحقيقة بالقول أن الدور الرئيس في هذا الهجوم كان لإيران ولتركيا وليس لبغداد.

• **مستقبل العلاقات الكُردية -العراقية:**

في ظل هذا التاريخ أو "حرب المئة عام" كما يحلو للبعض تسميته، بين الكُرد وبغداد، هذا التاريخ والعيش المشترك الذي يشوبه عدم ثقة ومعارك وحروب، وميل بغداد القوي إلى فرض السلطة المركزية على كُردستان وعدم الاعتراف بالآخر، وميل الكُرد إلى الاستقلال والانفصال عن بغداد مهما كان الثمن، يظهر بانه ليست هناك أي بقعة ضوء في نفق هذه العلاقات بين الكُرد وبغداد، فبغداد ستحاول جاهدةً القضاء على الوضع الراهن في كُردستان متى ما استشعرت بالقوة كما في المرات السابقة، والكُرد لن يقبلوا بأنصاف الحلول وسيعسون دائماً للاستقلال والتخلص من حكم بغداد متى ما شعروا بانهم يمتلكون القوة الكافية لعمل ذلك.

• **ملاحظة أخيرة "الهوية العراقية":**

بناءً على المعطيات التاريخية السابقة يظهر بأن الكُرد لم يهضموا الهوية العراقية، فهم يشعرون قبل أي شيء بأن بريطانيا قامت بإلحاق أرضهم -جنوب كُردستان - بدولة العراق دون الأخذ برأيهم، كما هُمشت لغتهم وهويتهم القومية الكُردية في دولة العراق بعد ذلك، ومن خلال

Zakho Centre
for Kurdish Studies
سەنتەرێ زاخۆ بۆ ڤەکۆلینێن کوردی

تتبع التاريخ الكُردي في العراق يلاحظ بان الكُرد قاتلوا أولاً: في سبيل الجغرافية "كُردستان" هذا الاسم الذي لا يحبذه ساسة بغداد حتى الآن وان ثبت ذلك بشكل رسمي في الدستور العراقي لعام ٢٠٠٥، فقد استنكرته جميع الحكومات العراقية السابقة حتى عام ٢٠٠٣ وكانت تطلق تسميات "شمالنا الحبيب" أو "شمال العراق" أو "منطقة الحكم الذاتي". وثانياً: في سبيل إبراز هوية هذه الأرض الكردستانية ومحاولة سلخها من دولة العراق، فلم يقبل الكُرد الهوية العراقية التي هي في جوهرها هوية عربية.

Zakho Centre
for Kurdish Studies
سەنتەری زاخۆ بۆ لێکۆڵینەوەی کوردی